مفهوم النشاط فى التربية الحديثة

للدكتور محمد جمال صقر

الأستاذ المساعد بقسم التربية وعلم النفس

ليس هناك مفهوم أثار الجدل والنقاش بين أنصار الحديث والقديم فى التربية بل وبين أنصار الحديث أنفسهم مثل ما فعل مفهوم النشاط فى التربية . ولقد تصدى لتفسير هذا المفهوم وتوضيح معناه وتحديد الغرض منه عدد غير قليل من فلاسفة التربية والمربين بقصد تصحيح الأخطاء التى وقع فيها البعض أو التى نسبها غيرهم الى بعض المربين أو عملوا على نشرها فى ميدان التربية والتعليم دون ادراك عميق أو فهم حقيقى لمدلول هذا المفهوم .

والنشاط يعتبر بحق احدى الدعائم الأساسية بل وحجر الزاوية فى العملية التربوية بمفهومها الحديث . فالتربية الحديثة ، أو ما اصطلح على تسميته بالتربية الحديثة وما يتفرع عنها من أساليب وطرق ، قامت على أساس فهم خاص للنشاط ومضمونه ومظاهره حتى أن المدرسة الحديثة أصبحت تعرف « بمدرسة النشاط » وطرق التربية الحديثة بطرق النشاط Méthodes actives والتربية الحديثة « بالتربية عن طريق النشاط » .

ولعل من المستحسن — لأجل تحديد مدلول النشاط كما تحاول طرق التربية الحديثة تطبيقه فى مختلف البيئات التربوية — فى البيت وفى المدرسة وفى المجتمع — أن نبدأ باستبعاد ما لا يصلح أن نسميه أو نطلق عليه نشاطا بالمفهوم الجديد لهذا المصطلح . فقد يعتقد كثير من الناس أن « النشاط » صفة نضفيها على الشخص الذى يكثر من الحركة والتنقل أو الذى يقوم بأداء عمل من الأعمال كالكتابة والقراءة مثلا — بدلا من أن ينصت أو يصغى — بل قد يتخيل المرء أحيانا أن الشخص الذى يبدى نشاطا هو الذى يأتى فعلا مرئيا يستطيع الغير أن يشاهده وأن يسجل مظاهره — ولكن الحركة الظاهرية ذات المظهر الخارجى لا تتضمن بالضرورة نشاطا تربويا بالمعنى الذى تقصده التربية الحديثة —

فالفصل الذى يسمع لتلاميذه صوت عن بعد ويدل ظاهره على حركة لا تنقطع قد يوهم بأنه فصل يتصف تلاميذه بمزيد من النشاط ، بينما قد تكون الحقيقة خلاف ذلك ، اذ أن كثرة الحركة والتنقل بين الأدراج بل وحركة الأيدى وأعضاء الجسم ليست دائما دليلا على النشاط الحقيقى لأن النشاط الحقيقى هو أولا وقبل كل شىء ذاتى وحركة داخلية أكثر منها خارجية ، بل وهناك من الجهود الفكرية ما قد تعوقها الحركة الظاهرية أكثر من أن تكون لها عونا . ثم ان كثيرا ما يكون السكون أو الهدوء دليلا على نشاط قوى وعميق . والفرد الذى يفكر فى مقعده دون أن يتحرك قد يكون أكثر نشاطا من الفرد الذى يقوم بترجمة نص من لغة أجنبية مثلا . والنشاط لا يكون تعليميا ولا يحقق الغاية التربوية المرجوة منه الا اذا قصد الى اخصاب الذات والعقل والى توجيه سلوك الفرد نحو هدف يسعى الى تحقيقه — كما أنه لا يكون ذا أثر فعال فى حياة الفرد وسلوكه الا اذا كان نشاط مرغوبا فيه ، وأدرك الفرد الغاية التى يسعى الى تحقيقها عن طريقه .

وقد يخلط البعض بين نوعين من النشاط — الأول هو النشاط الذى يصحبه التعبير بعمل أو أثر خارجى ، والذى يمكن أن نسميه « نشاط الانجاز » أو « نشاط التنفيذ » ، والثانى النشاط الذى يتولد عن الشعور بحاجة يراد اشباعها والذى يثيره أحد الدوافع التلقائية أو الطبيعية لدى الفرد ، والذى يطلق عليه « النشاط الوظيفى » .

ولأجل توضيح الفرق بين النشاط بمعناه الوظيفى وبين النشاط بمعناه التنفيذى نقول أن الانسان اذا سطر خطابا بدافع من نفسه وبرغبة منها فانه يبدى نشاطا بالمعنى الوظيفى وبالمعنى الانجازى معا ، أما اذا أجبر على أن يسطر خطابا لا يهمه فان نشاطه ينطوى على المعنى الانجازى فقط . والانسان اذا انتظر اجابة عن سؤال له أو حلا لمشكلة تعترضه فنشاطه من النوع الوظيفى . أما اذا قاده شخص الى سماع محاضرة ليس لديه ميل لسماعها فنشاطه سلبى ، والفائدة التى تعود عليه من سماعها قد تكون ضئيلة ثم لا تلبث أن يزول أثرها بسرعة وبالتالى فان قيمتها التربوية لا تعد شيئا مذكورا .

أما النشاط الذى يحقق هدفا تربويا فهو الذى ينبعث من الطاقة الذاتية والقوى الحية الكامنة عند الطفل . وهذه الطاقة اذا ما انطلقت عن طريق أحد

الدوافع أو المثيرات سواء أكانت مشكلة تطلب حلا أم صعوبة يراد تخطيها أم حاجة تتطلب اشباعا — فانها تؤدى الى بذل المجهود والى الخلق والابداع ، ويكون من نتائجها الرغبة المتجددة فى متابعة العمل والغبطة التى تملأ النفس والشعور بالرضا والارتياح كلما انتقل الفرد من خطوة الى أخرى وأخذ يسلك الطريق ويذلل الصعوبات التى تعترضه حتى يصل الى الحل الأخير أو النتيجة التى يرجوها ويحقق الغاية التى يسعى اليها .

والتربية ليست فى الواقع سوى عملية نمو ينبغى أن يتم فى ظروف مواتية عن طريق تهيئة البيئة الصالحة التى تعمل على انطلاق القوى الكامنة فى الطفل وهى القوى التى تتطلع الى التفتح والازدهار عن طريق اشباع الميول والرغبات . والطفل لابد أن يمارس ألوان النشاط التى تساعده على تنمية ميوله واستعداداته وقدراته ، ولا بد له من أن يعمل لكى تتم عملية النمو ، لأن العمل نشاط ضرورى ولازم لنمو الكائن الحى . والتربية الحديثة بطرقها وأساليبها تقوم على أساس فهم النشاط بمعناه الوظيفى كما أوضحناه — ويمكننا أن نتصور النتائج التى تترتب على هذا الفهم فى عملية التربية . فلقد أصبح قانون الاهتمام أو قانون الحاجة هو المحور الذى تدور حوله عملية التربية فى « مدرسة النشاط » ، وهذا القانون هو أساس النشاط لدى جميع الكائنات الحية . فالحاجة تبعث دائما الى النشاط والفعل الذى لا يرتبط باحدى حاجات الفرد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة يعتبر شيئا مخالفا للطبيعة ولا يأتيه الفرد الا مرغما أو كارها . وفى المدرسة التقليدية كان التلاميذ يطالبون بدراسة أشياء لا تشبع لديهم حاجة ما ، وكانوا يطالبون ببذل جهود لا تستجيب لقانون الحاجة . ومن ثم فكان لابد للمدرسة التقليدية من اللجوء الى وسائل الترغيب والتهديد ، وألوان الثواب والعقاب،وغير ذلك من وسائل اثارة الأفعال والجهود عن طريق الدوافع غير الطبيعية مما يجعل العمل نفسه غير طبيعى لأنه غير وظيفى لا يستند على مبدأ الحاجة . فالحاجة هى التى تحرك الأفراد وهى التى تشحذ الدوافع التى تثير النشاط وهذه ظاهرة واضحة فى كل لحظة من حياتنا اليومية .

أما مدرسة « النشاط » أو المدرسة الحديثة فانها تتخذ المبدأ الوظيفى أساسا ودليل هدى لكل نشاط يمارس فيها ، وفى ذلك يقول المربى السويسرى «كلاپارد»

Claparede « اذا أردت أن يعمل تلميذك فضعه فى ظروف من شأنها أن تشعره بالحاجة الى القيام بالعمل الذى تنتظره منه »[١] .

ان المبدأ الوظيفى فى التربية يذكرنا بأن وظيفة العمل هى اشباع الحاجات العضوية أو العقليــة لدى الكائن الحى ، كما أنه يوضح قيمة المعلومات التى نكتسبها أو نحاول اكتسابها ، فليس للمعرفة قيمة الا بالقدر الذى تستخدم فيه لتعديل سلوكنا ومساعدتنا على الوصول الى الغاية التى نسعى اليها ، واشباع الحاجة التى دفعتنا الى اتخاذ سلوك معين ، والمعرفة ليست غاية فى ذاتها ولا قيمة لها الا من الناحية الوظيفية . والتربيــة الوظيفية تقوم على أساس الحاجة الى المعرفة ، والحاجة الى البحث ، والحاجة الى المشاهــدة ، والحاجة الى العمل . فالحاجة والاهتمام الذى يتولد عنها هما العاملان اللذان يصبح الفعل بفضلهما فعلا حقيقيا وبالتالى ذا قيمة تربوية .

والسؤال الذى يتبــادر الى الذهن الآن هو : كيف يمكن تزويد التلاميذ بالبواعث التى تدفعهم الى العمل ؟ وكيف نجعل التلاميذ يرغبون بكل قواهم فى دراسة الحساب والتاريخ والجغرافيا وقواعد اللغة وغيرها ؟ والجواب على هذا السؤال يتلخص فى أننا لا نستطيع تزويد التلاميذ ببواعث على العمل ما دامت المدرسة بمناهجها وأساليبها وطرقها بعيدة كل البعد عن الحياة ، وما دام بين المدرسة والحياة جدار لا تستطيع الحياة أن تنفذ منه . فيجب أن تنظم المناهج الدراسية فى ضوء أن المعرفة ينبغى أن تكون دائما فى خدمة العمل ، وأن رسالة المدرسة هى اعداد التلميذ للحياة عن طريق الحياة لأجل الحياة .

ان الفهم الوظيفى للتربية يحتم اتخاذ ميول الأطفال وحاجاتهم مركزا تدور حوله المناهج وألوان النشاط التى تمارس فى المدرسة ، وكذلك طرق التدريس التى تستخدم فيها . كما ينبغى أن تفهم التربية على أنها عملية تكيف وتلاؤم دائم مع البيئة التى يعيش فيها التلميذ سواء أكانت بيئة طبيعية أم بيئة انسانية . وهذا التكيف يتم تدريجيا عن طريق العمليات الذهنية والعقلية . والعملية التربوية لابد أن تكون بدايتها نشاط التلاميذ الذهنى واليدوى وميولهم ورغباتهم الملحة

---

(١) التربية الوظيفية P. 170. L. Education Fonctionnelle

التى تظهر فى اتجاهاتهم ومحاولاتهم التعرف على الأحداث والظروف التى يعيشون فيها والتى تؤثر فيهم ويتأثرون بها ، أى يتفاعلون معها .

فالتربية ينبغى أن تبدأ من الواقع وبما هو موجود فعلا ، لكى تستطيع أن توجه وتقود نحو ما هو أفضل ونحو ما ينبغى أن يكون .

مدرسة النشاط :

لعل أهم عيب أخذه أصحاب « مدرسة النشاط » على المدرسة التقليدية هو أنها جعلت من التلميذ مجرد مستمع للدرس الذى يلقيه المعلم — ولعل الأثاث الذى زودت به المدرسة التقليدية وما يشمله من أدراج ومقاعد دليل له معناه فى هذا الصدد .

فيحكى أن الفيلسوف المربى الأمريكى « چون ديوى » ذهب ذات يوم الى محل لبيع الأثاث المدرسى للبحث عن مناضد تصلح لمختلف الأشغال والأعمال التى سوف يمارسها التلاميذ فى مدرسته التجريبية . ولما لم يجد ما يبحث عنه قال له تاجر الأثاث : أخشى ألا يكون لدينا ما يلزمك فأنت تريد أثاثا يسمح للتلاميذ بأن يقوموا ببعض الأعمال ولكن ما عندنا صنع ليمكنهم من الاستماع . ويقول « ديوى » ان هذا الجواب يمثل التربية التقليدية ، ويعطى فكرة عن طرق التعليم المتبعة فيها . حقا أن تلاميذ المدرسة التقليدية لا يكتفون دائما بالاستماع فهناك ساعات مخصصة للعمل الفردى ، بل يعترف أصحاب مدرسة النشاط بأن المدرسة التقليدية تتطلب من تلاميذها الكثير من الأعمال ، ولكن ليس من أتباع مدرسة النشاط هؤلاء الذين يفرضون على تلاميذهم دروسا يستظهرونها أو مجموعة من تمارين الترجمة والتعبير والانشاء — وليس من أتباع مدرسة النشاط هؤلاء الذين يعتمدون كثيرا على ما يحفظه التلاميذ عن ظهر قلب . ان المدرسة التقليدية لا تترك شيئا لاختيار التلميذ ، بينما العمل الجدير بالانسان والعمل المثمر حقا هو الذى يؤديه الفرد فى حرية تامة ، ولذلك يقول أنصار المدرسة الحديثة ان المدرسة التقليدية ليس فيها نشاط بالمعنى الحقيقى ، وخاصة فى مراحل التعليم الأولى حيث يكون تناول الأشياء وتداولها واختبارها من أهم وسائل تكوين عقلية الطفل فى هذه السن . كما أن الرغبة فى التعرف على الأشياء عن طريق الحل والتركيب تعتبر أحد ميول الطفل التلقائية والطبيعية . فالطفل يحب

الطبيعة ، ونحن نضعه فى غرف مقفلة . والطفل يحب اللعب ، ونحن تتطلب منه أن يعمل . والطفل يود أن يرى نشاطه يستخدم لغرض ، ونحن تتصرف بحيث يبدو نشاطه بلا هدف . والطفل يحب الحركة ، ونحن نفرض عليه أن يبقى ساكنا. والطفل يحب الاتصال بالأشياء ، ونحن نجعله يتصل بالأفكار فقط . والطفل يود أن يستخدم يديه ، ونحن نجعله يستخدم ذهنه فقط . والطفل يحب الكلام ونحن نفرض عليه السكوت ، وهو يريد أن يفكر ، ونحن نطلب منه أن يحفظ ، وهو يود أن يبحث عن العلم، ونحن نقدمه له « جاهزا » . وهو يود السير وراء رغباته ، ونحن نخضعه لرغبة الكبير . والطفل يود أن يتحمس لبعض الأعمال أو الأفعال ، ولكننا اخترعنا العقوبات ، والطفل يريد أن يقدم الخدمات فى حرية ، ونحن نعلمه الطاعة العمياء .

أما مدرسة النشاط فعلى العكس من ذلك تشجع قيام جميع الأجهزة بوظائفها ؛ يستوى فى ذلك الوظائف العقلية والعاطفية والعضوية . ففى مراحل التعليم الأولى يعمل التلميذ الصغير واقفا أو جالسا ، ولكنه حر يستطيع التحرك ليستفسر عن شىء ، أو يطلع على صورة أو كتاب . وفى مدرسة النشاط يتعلم الطفل القراءة والكتابة ومبادىء الحساب باستخدام يديه التى تساعد عينيه وعقله كما تساعده الأعمال التى يقوم بها والأشياء التى يتناولها والتى توضع أمامه وتحت تصرفه ، والنباتات التى يشاهد نموها والحيوانات التى يربيها ... الخ كل ذلك يساعد على تنمية الحواس وتقوية ملكة المشاهدة والملاحظة ، كما يعمل على تنمية المهارات اليدوية .

ثم أن التلميذ فى المرحلة التى تلى المرحلة الأولى يتعلم احدى الحرف التى تنمى لديه احدى المهارات . كما تلقى عليه بعض المسئوليات البسيطة التى تتصل بتنظيم سير العمل فى المدرسة من نظافة ونظام ومراقبة احترام الأنظمة وغير ذلك كما يتعلم فن قيادة الجماعة التى تقوم بأداء عمل مشترك يؤدى الى تحقيق هدف معين . وتشكيل عقلية التلميذ فى مدرسة النشاط لن يكون عن طريق الكتاب وحده كما فى المدرسة التقليدية ، ولكن يدخل فى هذا التكوين ناحية عملية وهى العمل المدرسى الذى يهدف الى اكتساب المعلومات والخبرات عن طريق المحاولات الفردية ، فتتخذ مدرسة النشاط من قول « جون ديوى » Learning by doing

« التعلم عن طريق العمل » . دليل هدى لها — [١] فالطفل فى المدرسة الحديثة ينبغى أن يتحسس وأن يحاول قبل أن يصل الى النتيجة وتتم عملية تعليمه عن طريق هذا التحسس وتلك المحاولات لذلك نجده لا يحب أن يقوم أحد بأداء عمله بدلا منه ، ولكنه يرغب دائما فى أن يقوم بالعمل بنفسه ولسان حاله يقول : « ساعدونى لأعمل وحدى » .

وظيفة المعلم فى مدرسة النشاط :

وفى ضوء هذا الفهم الجديد للتربية والنشاط تغيرت وظيفة المعلم تغيرا كاملا . فلم يصبح ذلك الفرد الذى يعرف كل شىء أو الذى يدعى معرفة كل شىء ، كما لم يعد ذلك الفرد المكلف بتشكيل ذكاء التلميذ وحشو ذهنه بمختلف المعارف والمعلومات ، وانما أصبحت وظيفته اثارة الميول وايقاظ الحاجات العقلية والأخلاقية والاجتماعية عند الطفل ، وأصبح بالنسبة لتلاميذه موجها ومساعدا ومعاونا أكثر منه ملقنا — وبدلا من أن يكتفى بنقل المعلومات والمعارف الى تلاميذه سوف يقوم بمساعدتهم على اكتسابها بأنفسهم عن طريق العمل والبحث الشخصى — ولن يكون الدافع للتعلم الخوف من العقاب أو الطمع فى الثواب وانما يوجد الدافع فى الميل العميق نحو الشىء المراد تمثله أو العمل المراد أداؤه — فالتلميذ لا يعمل عملا أو يسلك سلوكا معينا بقصد اطاعة أوامر الكبير أو ارضاء له وانما لأنه يشعر فى قرارة نفسه بالرغبة فى هذا العمل أو اتباع ذلك المسلك . وبالاختصار يحل « الدافع الذاتى » فى مدرسة النشاط محل الدافع الخارجى المفروض على التلميذ من المعلم أو من المناهج المقررة .

---

(١) كان الفيلسوف والمربى الأمريكى جون ديوى أول من أوضح هذا الاتجاه التربوى وحاول تطبيقة منذ عام ١٨٩٦ فى مدرسته التجريبية الملحقة بجامعة شيكاغو حيث طبق فيها مبدأ التعلم عن طريق العمل — لأن التعلم كما يقول الفيلسوف « البراجماسى » : « يتم عن طريق ايجاد حل لمشكلة حقيقية » ، وقد سار فى نفس الاتجاه واستوحى من نفس المبادىء المربى النمسوى Kerchensteiner الذى بدأ منذ ١٩٠٨ بنشر فكرة مدرسة العمل Arbeitschule وفى سنة ١٩٠٩ أوضح الفرنسى Binet أهمية نشاط التلميذ فى عملية التعلم واكتساب المعلومات . ومنذ سنة ١٩١٧ استخدم Bovet السويسرى مصطلح مدرسة النشاط ، الذى انتشر منذ ذلك الوقت فى عالم التربية وميادين تطبيقاتها .

طرق النشاط فى التربية :

لقد نجحت التربية الحديثة فى ادخال طرق تربوية تهدف الى تربيـة الجسم والعقل وتكوين الخلق ، واعتمدت كلها أو أكثرها على حاجة الطفل الى بذل النشاط المحبب الى نفسه . وهذه الطرق بالرغم من تعدد صورها ومظاهرها فانها تتجه جميعها الى ميول التلاميـذ فى كل مرحلة من مراحل النمو ، وتعمل على تهيئة البيئة التربوية الصالحة التى تمكن التلميذ من الاتصال بمصادر المعرفة لكى يسهم بنفسه فى تنمية ذاتيته ، وتجعل اكتساب المعلومات وتكوين عادات التفكير السليم من عمل التلاميذ أنفسهم عن طريق ايقـاظ ميولهم وتشجيع اتجاهاتهم وتنمية رغبتهم فى الاستزادة من المعرفة — وهى بذلك تحارب كل ما من شأنه أن يجعل موقف التلميذ سلبيا يتلقى المعلومات من غيره أو عن طريق الكتب كما تفعل طرق التعليم التقليدية . وهذا التعريف بطرق النشاط فى التربية أو الطرق الفعالة يكفى لايضاح الخطأ الذى يقع فيه الكثيرون ممن يعتقدون أن تطبيق أو استخدام طرق النشاط فى الأعمال العقلية لابد أن يصاحبه نشاط يدوى أو حسى حركى . والحقيقة أن استخدام الطرق التى تقوم على أسـاس من ميول التلاميذ الذهنية والعقلية لابد أن تتخذ شكلا عمليا وبناء ما دامت عقلية الطفل فى مرحلة معينة وفى سن معينة تتجه نحو هذا اللون من النشاط ، وما دام الطفل لا يستطيع أن يصل الى فهم الحقيقة الا عن هـذا الطريق . ثم ان هذه الطرق تتطور وتصبح أكثر « عقلية » كلما اتجهت ميول التلميذ نحو الميول المجردة ، ثم الميول المنطقية ، وبذلك تتعدل طرق النشـاط فى تطبيقها تبعا لمراحل النمو العقلى ، وتبعا لمرحلة التعليم ابتدائية كانت أم ثانوية أم عالية .

ويرجع أهمية طرق النشاط فى التربية الى اعتبارات سيكولوجية واعتبارات انسانية بالاضافة الى الاعتبارات الاجتماعية مما جعلها وسائل فعالة فى تكوين عقلية التلميذ الأخلاقية والاجتماعية . وهذه الطرق يمكن استخدامها فى جميع المراحل الدراسية وفى مختلف المستويات — فينبغى أن يرى الطفل وأن يلمس ، وأن يتداول كل ما يريد أن يتعلمه . والمقصود هو الاتصال بالحياة ومشاهدتها مشاهدة مباشرة فى كل تعقيداتها الحقيقية لا بعض عناصرها المبسطة — فالتعلم يجب أن يبدأ بالاتصال المباشر بالحقائق وبالبيئة المحيطة بالطفل وبالحياة ، وفى ذلك

يقول«دكرولى»«من الواضح لكل من يعرف الطفل عند دخوله المدرسة الابتدائية أن العمل الذى يفيد منه الطفل والذى يتلاءم مع وسائله وطرق تفكيره هو الذى يتم عن طريق اتصاله بالأشياء وبالعالم الخارجى »[1].انموقف التلميذ يشبه موقف الباحث الذى اعتاد أن يتصل اتصالا مباشرا بمصادر المعرفة ويحاول النفوذ الى أسرارها وقواعدها عن طريق نشاطه وتعبيره الذاتى،وسوف يحتفظ بهذا الموقف حتى اذا أصبح العمل أكثر تجريدا ، فقد اكتسب الطفل عادة المشاهدة والملاحظة بنفسه والتعلم عن طريق عمله ومجهوده الشخصى ، وأصبح يعمل على توسيع دائرة معلوماته باللجوء الى مصادر أخرى غير الكتاب المدرسى مثل زيارة المتاحف والأماكن الأثرية والاتصال بالطبيعة ، حيث يستطيع أن يرى الأشياء فى بيئتها الطبيعية ، وأن يرجع الى المطبوعات المختلفة التى تلقى ضـــوءا على موضوع الدراسة .

أما الحياة الاجتماعية فى المدرسة الحديثة فتقوم على أساس تنظيم الروابط والاتصالات التى تنشأ بين التلميذ وبين زملائه ، وبينه وبين المعلم ، ثم ان هذه الروابط من شأنها أن تثير حاجة الطفل الى العمل ، وبالتالى الى التعلم ، ولعل هذا من بين الأسباب التى جعلت للعب فى جميع مراحل النمو مزايا تربوية كثيرة وجعلت طرق النشاط تستغل اللعب فى العمل العقلى بجانب استغلاله فى تعلم أدب الأخلاق والخضوع لمقاييس آداب السلوك . وبذلك يتجنب المربى تقديم قواعد الخير والشر والحق والباطل وفقا لمفاهيم الكبار وبطريقة أساسها الوعظ والارشاد والأوامر والنواهى .

وفى مراحل النمو الأولى عند الطفل يكون اتخاذ الذات أساسا للحكم على الأشـــياء égocentrisme — لذلك نجد الطفل يسير وراء ميوله الذاتيـــة . وعلى ذلك ينبغى أن يحاول المربى تنظيم العلاقات بين الأطفال بشىء من الحرص وحسن التصرف حتى لا تتضاءل شخصية الطفل النامية أو يعمل على محو ذاتيته . وعند ما يكبر الطفل تلعب العلاقات بين التلاميذ دورا هاما فى حياتهم الاجتماعية ويصبح استخدامها مبدأ تربويا هاما حتى تصل به الى مستوى التعاون والتضامن

---

(١) (دكرولى — Decroly) المربى البلجيكى صاحب طريقة مراكز الاهتمام فى التربية .

وتنمية الحساسية الاجتماعية والانتماء الى جماعة واحدة . وفى هذه المرحلة من مراحل النمو أى حوالى سن الثامنة تقريبا يحاول الطفل التخلص تدريجيا من الضغط الخارجى ، فأفكاره وسلوكه يبدآن فى أخذ شكل اجتماعى أو جماعى بالمعنى الموضوعى للكلمة . فهو يفهم الأشياء فى ذاتها ويتقبل وجهة نظر الغير ويصبح قادرا على أن يتعاون مع غيره لتحقيق هدف مشترك ، وبعبارة أخرى يرتفع الى مستوى تفهم وتبادل وجهات النظر التى تتحقق بين الأقران والزملاء . وتكوين الصلات الحرة وتوثيق الروابط بينهم فى هذه السن أثناء العمل أو اللعب له أهمية كبرى فى تنمية حياة التلميذ الاجتماعية ، والانتقال به من مرحلة « الذاتية » الى مرحلة « الاجتماعية » أو من « الأنية » الى « الغيرية » ، فيتدرج نحو الحكم على الأشياء حكما موضوعيا ، ويشعر بالتقدير والاحترام للقوانين والأنظمة التى يجب اتباعها ، ولا يتحين الفرص للخروج عليها لأنها أصبحت جزءا من حياته ومن تكوينه .

وتعتبر « طرق النشاط فى التربية » الطفل وحدة متكاملة وتهدف الى تكوين شخصيات متزنة ومتناسقة بعيدة عن الأثرة والأنانية وتشجع بذل المجهود والمثابرة على العمل لأن بذل الجهد المفروض لا يلبث أن يتحول الى « سخرة » والى عمل ليس له هدف واضح . وهذا تعريف سريع لبعض طرق التربية القائمة على نشاط الأطفال .

١ — طريقة دولتن Dalton Plan — استخدمتها Miss Helen Parkhurst فى أمريكا منذ أكثر من ثلاثين سنة وفيها يطلب الى كل تلميذ أن يتم عملا أو جزءا من العمل فى تاريخ محدد ويسمى هذا الجزء من المنهج « بالتعيين » ويحال التلاميذ بطريقة منظمة الى مراجع مصنفة بدقة — ويختار كل تلميذ عمله فى حرية ، ويقوم باتمامه وفقا لقدراته الخاصة وامكانياته ووسائله ، ويرجع الى المعلم يطلب منه المعونة والمساعدة لتذليل بعض الصعوبات التى تقابله ، أو للوصول الى حلول للمشكلات التى تعترضه بعد أن يكون قد استنفد وسائله وتهيأت نفسه وعقله لتقبل ما يشير به المعلم — ويقوم المعلم من وقت الى آخر بتنظيم دروس جماعية لشرح بعض القواعد أو الصعوبات التى اعترضت الفصل بأجمعه ، أو مجموعة من المجموعات التى يتكون منها الفصل . وبهذه الطريقة

يمكن التوفيق بين ما يتطلب المنهج استيعابه من معلومات وبين الحرية التى تتركها للتلميذ ، وتنمية نشاطه الذاتى ، وتعويده الاعتماد على النفس ، واكتساب المعلومات عن طريق اسهامه فى عملية التعلم .

٢ — طريقة المشروع : طريقة المشروع هى بلا شك أكثر طرق التربية الحديثة انتشارا وتقوم على اعتبارات سيكولوجية واجتماعية معا . فالمبدأ الأساسى فيها هو أن الحياة قائمة على الأفعال الحقيقية ، لا على الأعمال التى تفرض على الفرد ، ولقد كان جون ديوى هو الذى أوحى بالطريقة وقام بتطبيقها ونشرها W. Kilpatrick سنة ١٩١٨ ، والطريقة توجه نشاط التلاميذ وأفكارهم نحو تنفيذ مشروع يختارونه فى حرية تامة . وهذا النشاط يكون فى الغالب نشاطا عمليا أى له هدف عملى Purposeful activity ، يوجه التلميذ ويحدد الأهداف التى يعمل من أجلها . فهو اذن نشاط غائى أى له غاية واضحة ، فاذا اختار التلاميذ مثلا دراسة مشروع « بناء حظيرة فى المدرسة » فانهم يعملون بأيديهم وأفكارهم من أجل تنفيذ المشروع ويتعاونون ويتعلمون الحساب والرسم واللغة ... الخ أثناء تنفيذ المشروع ، وتصبح مواد المنهج وسيلة لتحقيق المشروع وليست غاية فى ذاتها ، ومزايا الطريقة وفوائدها الاجتماعية والعملية تعادل المعلومات الذهنية والعقلية التى يكتسبها التلاميذ وتكون معلومات وظيفية لأن اكتسابها كان عن طريق النشاط الوظيفى .

٣ — الدراسة بطريقة الجماعات : بدأ المربى الفرنسى R. Cousinet تطبيق الطريقة منذ سنة ١٩٢٠ وأساسها انطلاق النشاط الحر عند التلاميذ عند ما يسهمون فى عمل جماعى فيختار التلاميذ موضوعا ويكونون جماعات لدراسته تتكون من خمسة أو ستة ، ويختار كل واحد منهم نقطة معينة يتعهد بدراستها وعرضها على زملائه — ويستمر التعاون بينهم كل حسب امكانياته ، وينمو التضامن بينهم . وهذه الطريقة وسيلة للتربية عن طريق الحرية .

٤ — طريقة دكرولى أو طريقة مراكز الاهتمام : وتشبه الى حد كبير طريقة المشروع وأساسها تنظيم المعلومات التى نود أن يكتسبها التلميذ حول اهتمامه بما يدور حوله من أحداث ، وما يشبع حاجاته ورغباته — الأمر الذى يساعد على تعبئة قواه ونشاطه الذهنى والعقلى ، ويدفعه الى بذل المجهود المحبب الى

نفسه — والطريقة تحاول التوفيق بين استيعاب المنهج والنشاط الحر للتلميذ ، كما تحاول التوفيق بين الحرية والنظام فى العمل المدرسى .

٥ — التعاونيات المدرسية : وهـدفها تنمية الناحية العمليـة عند التلاميذ وتنظيم الأعمال والمساهمة الفعلية فى ادارة عمل جماعى ، وفيها يتولى التلاميذ جمع وادارة مبلغ من المال لتزويد المدرسة بمعدات وأدوات ، أو بتنظيم الرحلات واصلاح الأماكن وادخال التحسين عليها ... الخ . وهى وسيلة الى دراسة فروع المواد الدراسية عن طريق مجموعة من الأعمال التى تهدف الى تحقيق هدف تسعى الجماعة الى تحقيقه .

وهكذا نجد أن طرق النشاط هى أسـاليب تربوية تقوم على أسس من معطيات علم النفس وعلم الاجتماع وسائر العلوم الانسانية الأخرى . وطرق النشاط تأخذ بدايتها دائما من الطفل كما هو ، وتقدم له الغذاء الروحى الذى هو فى حاجة اليه لكى ينمى مواهبه واسـتعداداته وتعمل على تفتح وازدهار قدراته . وأخيرا فهى تتجه نحو الميول والدوافع التلقـائية لكى تستخدمها فى عملية النمو عن طريق النشاط الفردى والجماعى . وهى باحترامها للفرد وكرامة الفرد تعمل للبناء ونشر التضامن والتعاون بين الأفراد فى المجتمعات وفى العالم .

المراجع

1. L. Education Fonctionnelle — E. Claparède.
2. Traité de Pédagogie — R. Hubert.
3. La Pédagogie Scolaire contemparaine — E. Planchard.
4. L,Education Nouvelle — Maria Médecis.
5. Les Méthodes en Pédagogie — Guy Palmade.
6. Philosophie de l'Education Nouvelle — M. Bolch.
7. L'Ecole active — A. Ferriére.
8. Les idées modernes sur les enfants. — Binet.
9. Pour ou contre l'Education Nouvelle — S. Durand.
10. L'enfance Méconnue — Dr Allendy.